

نفسها مختلفة عن الحياة الجاهلية السابقة عليها ، والتي لازالت من بعض الوجوه معاصرة لها ، فلم يكن أمام الأدب سوى أن يصور ذلك كله . . ولم يكن من الطبيعي بعد هذا أن يكون الشعر الإسلامي صورة تنطبق على الشعر الجاهلي بحيث لا يقوم خلاف بين الصورتين ، وإنما الطبيعي أن يكون الخلاف بين الأدبين هو نفس الخلاف بين الحياتين ، وبقدر ما يكون البعد بين هاتين يكون الفرق بين ما يتميز به كل من الأدبين باعتبار الأدب صورة صدرت عن الحياة نفسها ، واستقت منها أصباغها . . وليس يعنى هذا أن التقاليد الفنية الجاهلية قد بترت من أصولها ، فلم يعد لها امتداد في هذا الشعر الإسلامي الذي غرس غرساً جديداً ، فالتقاليد الفنية لا تنقطع ولا تبت . وقد بينا وجهة النظر في هذا فيما سبق وأدركنا أن هذه التقاليد والأساليب واللغة الشعرية أيضاً تراث لا تسقطه الأوضاع الجديدة أو المؤثرات والتطورات إسقاطاً وإنما الأدب ككل كائن حتى يأخذ من القديم بقدر ومن الجديد بقدر . . هو كالحياة نفسها سلسلة متصلة الحلقات لا ينقطع ما بين الحلقة والأخرى ، ولا تنفصم العرى ، لتتفكك أوصال هذه السلسلة المتماسكة لتغدو مجموعة من السلاسل أو القطع المتباعدة التي لا تربطها الوشائج أو تربط فيما بينها برباط . . إنما الحياة نهر مستمر . . تتأثر المياه فيه بكل ما ينبت في قاع كل جزء من النهر . . وما يحيط به من الضفتين دون أن ينقطع ما بين الأجزاء . . أو ينقلب الماء على طبعه الأصيل . . وإن تغير الطعم واللون فيه مع ما يعترضه من مؤثرات في كل مرحلة من مراحل رحلة النهر في مجراه الطويل الممتد . . كلما امتدت بالزمن نبضات الحياة .